

الكشاف

" يوم يأتيهم العذاب " مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة . ومعنى " أخرنا إلى أجل قريب " ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك . أو أريد باليوم : يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب كقوله : " لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق " المنافقون : 10 ، " أولم تكونوا أقسمتم " على إرادة القول وفيه وجهان : أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا و " ما لكم " جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله " أقسمتم " ولو حكى لفظ المقسمين لقليل : ما لنا " من زوال " والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل : لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله : " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت " النحل : 38 ، يقال : سكن الدار وسكن فيها . ومنه قوله تعالى : " وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم " لأن السكنى من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك : قر في الدار وغنى فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقليل : سكن الدار كما قيل : تبوأها وأوطنها . ويجوز أن يكون : سكنوا من السكون أي : قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا " وتبين لكم " بالإخبار والمشاهدة " كيف " أهلكناهم وانتقمنا منهم . وقرئ : وتبين لكم بالنون " وضرينا لكم الأمثال " أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وير في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم " وقد مكروا مكروهم " أي مكروهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم " وعند الله مكروهم " لا يخلو إما أن يكون مضافا إلى الفاعل كأول على معنى : ومكتوب عند الله مكروهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا إلى المفعول على معنى : " وعند الله مكروهم " الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون " وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال " وإن عظم مكروهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أي : وإن كان مكروهم مسوى لإزالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى : " وما كان الله ليضيع إيمانكم " البقرة : 143 ، والمعنى : ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل آيات الله وشرائعها لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا . وتنصره قراءة ابن مسعود : وما كان مكروهم . وقرئ : " لتزول " بلام

الابتداء على : " وإن كان مكرهم " من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقل من أماكنها .
وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما : وإن كاد مكرهم " مخلف وعد رسله " يعني قوله : " إنا
لننصر رسلنا " غافر : 51 ، " كتب الله لأغلبن أنا ورسلي " المجادلة : 21 ، فإن قلت : هلا
قيل : مخلف رسله وعده ؟ ولم قدم المفعول الثاني على الأول ؟ قلت : قدم الوعد ليعلم أنه
لا يخلف الوعد أصلاً كقوله : " إن الله لا يخلف الميعاد " آل عمران : 9 ، ثم قال : أرسله
ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم
خيرته وصفوته ؟ وقرئ : مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد . وهذه في الضعف كمن قرأ "
قتل أولادهم شركائهم " الأنعام : 137 ، . " العزيز " غالب لا يماكر " ذو انتقام " لأولياءه
من أعدائه .

" يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماء وبروزاً الله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ
مقرنين في الأصفاة سراويلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن
الله سريع الحساب "